المحور الثالث : ممالك السودان الأوسط (479-1262 هـ/1086-1816 م)

أولا دوله الكانم- برنو

قامت هذه الدولة في بلاد السودان الأوسط وكانت بحيرة تشاد هي مهدها مما جعلها مركزا هاما لالتقاء الطرق القوافل المارة إلى جميع أنحاء القارة و أدى هذا الامر إلى ازدهار تجارتها والى قيام دوله بها منذ القرن الرابع هجري التاسع ميلادي وينقسم تاريخ هذه الدولة إلى عصرين عصر سيادة الكانم ثم عصر سيادة برنو

تعتبر عناصر الكابمبو وهي خليط من القبائل الزنجية والبربرية أول من عمل على إنشاء دوله في إقليم كانم الذي يقع إلى الشرق والشمال الشرقي من بحيرة تشاد، وقيل ان الفضل في تأسيس هذه الدولة يعود إلى الملوك الأوائل من الزغاوه التي يعتقد أنها ترجع في أصولها الأولى إلى فريق من بربر المغرب ولا سيما الملك داجو ، الذي أرخ لحكمه بحدود سنه 183 هـ/800 م وكان يدعي أنهم من نسل القائد العربي "سيف بن ذي يزن " ويسود الاعتقاد ان قبائل الزغاوه كانت تتجول الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى قبل ان تهاجر في القرن الثاني الهجري إلى بحيرة تشاد وتستقر هناك.

وقد ضمت هذه الدولة عدد ا كبيرا من القبائل والعناصر ، فهناك قبائل السوسو وقبائل الكمبامبو ا وقبائل الكانوري ا لتي تتكون من خليط من العرب والبربر والزنوج وهؤلاء الك انوري يكونون اغلب سكان هاته المملكة، يضاف إلى ذلك قبائل التبو من البربر وكذلك قبائل الطوارق وقبائل العرب الذين كانوا يعرفون باسم الشوا والذين قدموا إلى تشاد من وادي النيل ومن شمالي القارة الا فريقيهعبر الصحراء ، وقد أدى اختلاط هؤلاء العرب بالوطنيين إلى ظهور عناصر جديدة مثل التنجور والبولالا والسلمان وغيرهم.

قامت سلطه الكانم في القرن التاسع ميلادي على يد أسره بربرية بيضاء هي الاسرهالمغاوميه السيفيه التي دعت النسب العربي وقالت أنها تنحدر من سيف بن ذي يزن استطاعت هذه الأسرة السيطرة على حوض بحيرة تشاد واتخذت مدينه جيمي عاصمة لها، وبدا الإسلام يطرق أبواب هذه المملكة منذ قيامها وخاصة في الشمال والشرق على يد التجار والمهاجرين والذين توافدوا عليها في القرن 9 م و10 م وتحكي المصادر عن قيام داعية إسلامي كبير يسمى الفقيه محمد بن ماني القرن 11 ميلادي بنشر الإسلام في المنطقة وقد عاصر خمسه من ملوك الكانم الذين كانوا يعرفون باس الهيات أولهم الماي هولو الذي كان يحكم حوالي 410 هـ / 1020 م واخرهم الماي اوم بن عبد الجليل ربع 478 -489 هـ/1086- 97 10 م والذي جعل الإسلام الدين الرسمي للدولة وعمل على نشره في بلاده ثم اتجه لأداء فريضة الحج ولكن المنية توفته أثناء عودته من مصر فدفن بها، ومنذ عهد هذا الحاكم لم يتولى حكم دوله كان م أي ملك وثني وبلغت دوله الكانم درجه كبيره من القوه والاتساع في عهد الماي دونمة بن اوم 489 546 هـ- 1097-1151 م الذي خلف والده في الحكم وتابع خلفائه من بعده العمل على توسيع حدود هذه الدولة حتى صارت

إمبراطوريه كبيره خاصة في عهد المراي دونمة بن سلم ا بن بكر والذي يعرف ايضا باسم دونم ة دبلليمي نسبه إلى والدته دابال، وقد أخضع هذا الماي القبائل المتمردة وأقام علاقات مع الحفصيين ، ويعتبر من الحكام الذين قضوا على جذور الوثنية في المنطقة من خلال قيامه بتحطيم الموني المقدس الذي كان يقدسه الناس قبل إسلامهم وهذا التحطيم أثار غضب قبائل البو لالا لما يمثله الموني من قدسيه لديهم وظل صراع قائما بين الطرفين و وصل مرحله خطيرة خاصة في عهد زعيم تلك القبائل المدعو عبد الجليل سيو كوما والذي ع اصر تسعه من سلاطين الكانم ، والأمر الذي يميز قبائل البولالا عن قبائل الصوصو هو ان البولالا قد دخلت الإسلام وهي تقاتل القبائل الوثنية جنبا إلى جنب مع بقيه المسلمين الا ان عدائهم لدوله كان م لم ينته ورغبتهم في السيطرة على طرق التجارة كان كبيرا وقد تمكن عبد الجليل من قتل اربعة مايات بمساعده القبائل العربية التي كانت تقيم في فترى وكانم التي كان سلطان البولالا يمت لها بصلة القرابة والنسب.

ونتيجة للضغط المستمر من قبائل البو لالا على دوله الكانم ورغبتهم في طرد الما غوميين من عاصمتهم جيمي فقد اجتمع السلطان الكانمي الماي عمر بن إدريس بعلماء بلاده والمقربين منه استشارهم في مسالة العاصمة والعبور نحو إقليم برنو فأشاروا عليه بذلك ليبدأ عهد مملكه برنو ،وقد تسرب الضعف إلى مملكته كان نتيجة عوامل كثيرة منها: الخلافات والانقسامات التي ظهرت بين أبناء الأسرة الحاكمة وظهور خطر قبائل الصوصو التي كانت تقيم في إقليم برنو وقيامها بمهاجمه عاصمة الدولة وكذلك اشتداد خطر البولالا بعد ان تمكنوا من أقامه سلطنه صغيره لهم في حوض بحيرة فترى.

-2 عصر سيادة برنو:

باستئناف الماي عمر بن إدريس الحكم بإقليم برنو بدا ما يعرف بعصر سيادة برنو والذي امتدا حتى نهاية الدولة سنه 1262 هـ/1840 م فقد ترك طرد الماغوميين السيفين إلى برنو فراغا سياسيا في كانم ملئه الذين أقاموا سلطنه كبيره ضمت هذه الأقاليم بالإضافة إلى إقليم بحيرتي فترى المناطق المحيطة بها من حوضي بحيرة تشاد

واستمر الصراع بين البولالا والماغوميين في مقرهم الجديد مدينه برني مجازر جامو التي اتخذوها عاصمة لهم وقد تمكن المايات في برنو من استرداد قواهم منذ النصف الثاني من القرن الخامس عشر ميلادي وو صلت أوجه أثناء القرن السادس عشر ميلادي وقد تبادل الطرفان المتصارعان النصر والهزيمة خاصة في عهد الماي إدريس بن عائشة الذي انزل بأعدائه هزيمة ساحقه واستولى على العاصمة جيمي وأقام بها فتره ثم عاد إلى برني وتابع ابنه الماي إدريس الو الذي أقام علاقة بد وصداقه وم صاهره معهم فأعاد نفوض أسرته إلى إقليم كان وصلت الإمبراطورية في عهده إلى أقصى اتساعها وقوتها وازدهارها وقد أقام الماي إدريس الوما دولته الجديدة على أساس القوه الحربية وأدى الإصلاح الذي ادخله بالجيش إلى بلوغه مكانه لا تبلغها مكانه اي جيش أخر

في بلاد السودان واستخدم فصيلة من حمله البنادق الأتراك تولت تدريب حرسه المكون من الرقيق على استعمال الاسلحة النارية وبفضل هذه التدريبات أصبح جيش برنو فريدا في إفريقيا الزنجية، ثم احدث تغييرا شاملا في نظام النقل في الجيش بإحلال الإبل والجياد محل البغال والثيران، كما طور الملاح البحرية وحلت القوارب الكبيرة بدل الأشجار المجوفة وبذلك اكتسب جيشه القدرة على الحركة كان يفتقر إليها سابقا، وقد خلف الماي إدريس ألومه مايات ضعاف بلغوا 15 سلطانا على مدا قرنين من الزمن وأصيبت البلاد بعدد من المجاعات كما ظهر خطر قبائل الوثنية في منطقه ج ومبي تسمى قبائل كوارارافا التي تمكنت من اجتياح الأقاليم الغربية في برنو وقتلت احد المايات كما حدثت حروب بين برنو وجيرانها في إمارات الهوسا وخاصة إمارة كانم في منتصف القرن الثامن عشر غير ان أهم خطر تعرضت له المملكة البرنو هو خطر الفولانيين k وهم قبائل بيضاء انحدرت من الشمال واستقرت في إمارات الهوسا بقياده عثمان بن فودي بحركة ضخمه لنشر الإسلام بين الوثنيين في هذه الإمارات وتمكنت أخيرا من ضمها في دوله واحده تحت زعامة هذا القائد الذي أعلن قيام دوله الفولاني في بداية القرن 19 ميلادي.

وعندما لاحظت القبائل الفلاني التي كانت تعيش في مملكة برنو وجود تحالف سري بين تلك المملكة وممالك هابي الوثنية التي تحارب دوله سكوتو العثمانيه الإسلامية قامت بتدبير ثوره داخليه نجحت في دخول عاصمة برنو عام 1808 للميلاد وفر الماي احمد بن علي ولج أ إلى المناطق الحدود الشرقية واستنجد بالقبائل اللئنميه بزعامة محمد الأمين الذي تمكن من استرجاع عاصمة برونو وبذلك يكون محمد الأمين الكانمي هو مؤسس دوله برنو الحديثة وأول من تلقب بلقب "شيهو برنو "اي زعيم أو شيخ اهل برنو وتوفي هذا السلطان سنه 1835 بالميلاد وخلفه ابنه عمر الأمين بعده تولى ابنه أبو بكر 1780 الف 884 وبعده تولى أخوه إبراهيم لمده عام ليخلفه الشيخ هاشم 1885-1893 وفي عهده دبّ الضعف وفي نهاية القرن 19 م هاجم زعيم سوداني يدعى رابح الزبيري نسبه إلى الزبير باشا الذي كان تاجرا واشتد نفوذه فنال مكانه سياسيه هامه ففتح منطقه دارفور باسم الحكومة المصرية وكان رابح قائدا عنده وعندما غدر جوردن باشا حاكم السودان في عهد الخديوي إسماعيل بالزبير قرر رابح الانتقام فدخل كان م وقضى على سلطه برنو عام 1893 وأصبح حاكم هذه المنطقة في سنه 1900 قتل رابح في معركة مع الفرنسيين ودخلت فرنسا المنطقة مع بريطانيا فتقاسمت الدولتان أراضي برونو التي لم يعد فيها اي سلطه إسلاميه، ومن الدول التي قامت على إنقاذ الإمبراطورية برنو كل من وجمهوريه إفريقيا الوسطى والنيجر ونيجيريا والكاميرون

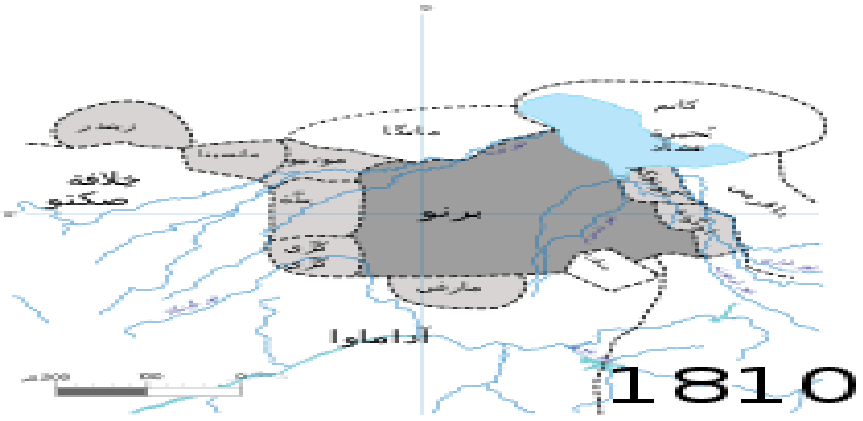

ثانيا ممالك الهوسا

تشمل بلاد الهوسا ما يعرف الان بنيجيريا الشمالية وجزء من جمهوريه النيجر وكانت تقع في العصور الوسطى في المنطقة المحصورة بين سلطنتي مالي وسن غاي غربا تحدها من الشمال بلاد أهير والصحراء الكبرى ومن الجنوب ما يعرف الان بنيجيريا الجنوبية ومن الشرق مملكه برنو والهوسا أو الح وصل اصطلاح لغوي يطلق على الذين يتكلمون لغة الهوسا، ولذلك فليس هناك جنس يمكن ان يتسم بهذا الاسم إذ ان الهوسيين لا ينحدرون من دم واحد بل جاؤوا بل جاء أغلبيتهم نتيجة امتزاج حدث بين جماعه قبليه وعرقيه كثيرة أهمها السودانيون اهل البلاد الأصليين والطوارق من البربر والفولانيين وبعض العرب المهاجرين ونتج عن هذا الامتزاج هذا الشعب الذي أصبح يتكلم لغة واحده هي لغة الهوسا التي انتشرت بإفريقيا الغربية حتى أصبحت لغة الناس والمعاملات التجارية والمالية.

تأسيس ممالك الهوسا

حيكت أساطير عديدة حول تأسيس المملكة فيقال ان ممالك الهوسا كانت عبارة عن 14 مملكه قامت عن طريق غزوه من برنو قادها شخص يدعى بايزيد الذي كان من رقيق سلطان برنو فر صحبة ابنه السلطان والمح ضربات وعندما وصل إلى بلاد الهوس ا ذبح الجني الذي يقوم على حراسه الماء وحرر البلاد وقد خلفه أبنائه السبع وكونوا الممالك السبعة التي شكلت النواة الأولى للبلاد الهوسا والى جوار هذه الممالك السبع كانت توجد سبع ممالك أخرى سكانها ليسوا جميعا من الهوسا وتعرف بأشقه الهوسا

وهناك رواية أخرى تقول ان نشاه ممالك الهوس ا تقول بأنها بانه في أوائل القرن الحادي عشر ميلادي كانت تحكم مدينه دور ا العظيمة مملكه جاءت من بعد تسعه حكام سبقوها وقد تعرضت البلاد الخراب بسبب وحش هائل كان يمنع الناس من السعي وراء أرزاقهم حتى جاء احد الرجال البيض مع من جاءوا من جهة الشرق أو الشمال وهو ابن ملك بغداد فتمكن من القضاء

على ذلك الوحش وتزوج من الملكة وأنجب منها سبعه أبناء انشئوا فيما بعد سبع المقاطعات الأولى لمملكه وها الممالك هي بيام - دورا- غوبر - زاريا- رانو - كاستينا- كانو

وكانت تذكر الأسطورة ايضا ان هذا الزعيم تزوج امراة أخرى وأنجب منها سبعه أبناء ايضا واستطاع هؤلاء الأبناء ان يشيدوا سبع ولاية أخرى إلى الجنوب وهي كبّ -نوب -جواري- يوري كوارافا -الورين- زنفرة.

كانت ممالك الهوسا أشبه بالمدن الدولة في ايطاليا خلال عصر النهضة هدفها الرئيسي هو الرخاء التجاري والحروب لا تعدو كونها وسيله لمنع ظهور اي قوه منافسه وفي ذلك قامت كاستينا وكانوا بدور الهام فأسوار المدن وفرت الحماية لأصحاب الحرف ومنعت ومكنت الزراع من مواصله حياتهم العادية ذلك ان ذلك ان الحياة خارج الأسوار كانت تحفها الإخطار دائما وكان شعب الهوسا من اكثر الرحالة والتجار مغامرة فقد كانت مدنهم تحتل موقعا جغرافيا ممتازا عند الطرف الجنوبي لأحد أهم الطرق القوافل التجارية الصحراوية العظيمة الذي يصل الشمالي إفريقيا بوسطها وغربها وما انهارت مملكه السنغاليإمام الغزو المراكشي في نهاية القرن السادس عشر ميلادي تحول المجرى الرئيسي للحركة التجارية مع شمالي إفريقيا شرقا إلى بلاد الهوسا وقفزت أماره كاستينا بصفه خاصة إلى مكان الصدارة والشهرة وسرعان ما أصبح التجار الهوسويون يسيطرون على النشاط التجاري في إنحاء جميع إنحاء إفريقيا الوسطى وتضخمت جاليتهم في كل المراكز التجارية المهمة بل أصبحت لغة الهوسا لغة التخاطب العامة في الأسواق فقد دخل الإسلام بلاد الهوسا ،ورغم وقوعها بين إمبراطوريتين إسلاميتين كبيرتين قديمتين نقصد بها البرنو ومالي ثم السنغالي غربا الا ان أماره الهوسا لم تتحول للإسلام في نفس الفترة ولا في وقت واحد بل تأخر إسلامها بعض الوقت وظل بعض أهلها على الوثنية حتى بداية القرن التاسع عشر ميلادي وعندما دخلها الإسلام كانت أماره كانو من اسبقها دخولا إلى هذا الدين.